

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

لغة المظلمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ
شَرْحُ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ السَّعَةِ وَالْأَحْوَالِ الْمَوْقِفِينَ
أَصُولَ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ الَّتِي تُرَدُّ إِلَيْهَا فُرُوعُ أَحْوَالِ الْمُتَّقِينَ سَعَةً أَوْ لَهَا
الْتَّوْبَةُ وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ وَالرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ
وَالزُّهْدُ وَالْوَكْلُ وَالرِّضَا وَالْمَحَبَّةُ وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الْخُصُوصِ

وَهِيَ مَحَبَّةُ الْمَحْبُوبِ

ذَكَرَ فَرِيقُ التَّوْبَةِ وَشَرَحَ فُضَائِلَهَا وَوَصَفَ التَّوَابِينَ
قَالَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى الْآلِ مِنْ خُطَابِ الْعُمْرِ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ مِنْ مَعْنَاهُ أَرْجِعُوا إِلَيْهِ مِنْ هَوَى نَفْسِكُمْ
وَمِنْ تَوْبِكُمْ مَعَ شَهَوَاتِكُمْ عَسَى أَنْ تَطْفَرُوا بِغَيْبِكُمْ فِي الْمَعَادِ وَكَيْ تَبْقُوا
بِقَاءَ اللَّهِ الْبَاقِي فِي نَعِيمِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَفَادٌ وَلَكِنْ تَفُوزُوا وَتُسَعَّدُوا بِدُخُولِ
الْجَنَّةِ وَتَنْفَعُوا مِنْهَا فَهُوَ الْفَلَاحُ وَقَالَ فِي الْبَيَانِ الثَّانِي
مِنْ خُطَابَةِ الْخُصُوصِ هَذَا دِينُ أَمْنٍ تَوَاتَوْا بِهِ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ
أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
فَنَصُوحُ أَمْرِ النَّاسِ بِمَا عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ لِلْمُبَالَغَةِ فِي النَّصِيحِ وَقَدْ قُرِئَتْ نَصُوحًا

بِفِعْلِ التَّوْبَةِ فَتَكُونُ حَيْثُ مَصْدَرُ نَصَحَتْ لَهُ نَصُوحًا وَنَصُوحًا أَيْ نَصُوحًا
عَلَى النَّصْرِ يَفِي لِلْبَلَاغِ فِي الْفُضُولِ مَعْنَاهُ خَالِصَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَبِهِ نَسْتَعِينُ مِنَ
النَّصَاحِ وَهُوَ الْخَيْطُ أَيْ مُجَرَّدَةٌ لَا تَعْلُقُ شَيْئًا وَلَا تَعْلُقُ بِهَا هُوَ الْأَسْقَامَةُ
عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ تَلَفٍ إِلَى الْخَطِيئَةِ وَلَا عَوْدَةٍ فِي ذَنْبٍ وَلَا رَوْعَانِ عَنِ
الْمَعْصِيَةِ كَمَا تَرُوحُ الشَّعَائِبُ وَأَنْ لَا يَحْدِثَ نَفْسُهُ عَوْدًا إِلَى ذَنْبٍ مَتَى قَدْ عَلِمَهُ
وَأَنْ تَشْرَكَ الذَّنْبَ لِاجْلِلَ اللَّهِ تَعَالَى خَالِصًا لَوَجْهِهِ كَمَا أَرْتَكِبُهُ لِاجْلِلِ هَوَاهُ مُجْمَعًا
عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ وَشَهْوَتِهِ مَتَى لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى بِقَلْبٍ خَالِصٍ مَسْتَقِيمٍ
عَلَى السُّبُلَةِ فَقَدْ حَقَّقَ لَهُ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ مِنَ السَّابِقَةِ
وَهَذَا هُوَ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَهَذَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمُ الْحَبِيبُ وَهُوَ
الْخَبَرُ عَنِ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى وَمَنْ تَدَارَكَ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ رَحِمَهُ بِهَا
مِنْ نَادِ السُّوَاكِيِّ فَهُوَ وَصَفَ لِمَنْ قَصَدَهُ بِخَطَابِهِ إِذْ يَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ
إِنَّ اللَّهَ حُبُّ التَّوَابِينَ وَحُبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْتَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمُزْنٍ مِنْ سَيْلِ الْحَسَنِ
رَفَعِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحُ فَقَالَ لَقَدْ رَفَعْتُ وَأَسْتَغْفَرُ
بِاللِّسَانِ وَتَرَكْتُ بِالْجَوَارِحِ وَأَمَّا أَنْ لَا يَعُودَ وَقَالَ لَقَدْ رَفَعْتُ رَحِمَهُ اللَّهُ

لَيْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْفَى عَلَى هَذَا الْخَلْقِ مِنَ التَّوْبَةِ وَلَا عُقُوبَةٌ عَلَيْهِمْ مِنْ فَقْدِ عِلْمِ التَّوْبَةِ
 وَقَدْ جَعَلَ النَّاسُ عِلْمَ التَّوْبَةِ وَقَالَ مَنْ يَقُولُ إِنَّ التَّوْبَةَ لَيْسَتْ بِفَرْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ
 وَمَنْ ضَمِنَ يَقُولُهُ فَهُوَ كُفْرٌ وَقَالَ التَّائِبُ الَّذِي يَتُوبُ مِنْ غَفْلَتِهِ فِي الطَّاعَاتِ
 فِي كُلِّ نَفْسٍ وَطَرَفَةٍ ^{مَرَّةً} وَقَدْ جَعَلَ عَلَى عَيْنِهِ السَّلَامُ تَرَكَ التَّوْبَةَ مَقَامًا فِي الْعَمَى وَقَرَنَهُ
 بِاتِّبَاعِ الظَّنِّ وَنَسِيَ الزَّكْرَ فَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ وَمَنْ عَمِيَ نَسِيَ الذِّكْرَ وَاتَّبَعَ
 الظَّنَّ وَطَلَبَ الْمَغْفِرَةَ بِهَا تَوْبَةً وَلَا اسْتِكَانَةً فَقَوَّتْ التَّوْبَةُ الَّذِي لَا يَدَّ
 لِلتَّائِبِ مِنْهُ وَلَا يَكُونُ التَّائِبُ مُحَقَّقًا صَادِقًا إِلَّا بِهِ ^{بِقَوْلِهِ} الْأَقْرَارُ بِالذَّنْبِ وَالْإِعْتِرَافِ
 بِالظُّلْمِ وَمَقْتِ التَّسَرُّعِ عَلَى التَّوْبَةِ وَحَلُّ الْأُمُورِ الَّذِي كَانَ عَقْدُهُ عَلَى أَعْمَالِ
 السَّيِّئَاتِ وَإِطَابَةُ الْعَذَابِ عَلَيْهِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا تِلْ لُطْمَةٍ أَسَاسُ الصَّالِحَاتِ
 ثُمَّ التَّوْبَةُ عَلَى مَا فَاتَ مِنَ الْجَنَائِبِ وَحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ أَنْ كَانَ حَقًّا إِذْ لَمْ يَحْوَ حَقِيقَةُ
 أَنْ لَا يَأْوُدَ إِلَى مِثْلٍ مَا وَقَعَ التَّوْبَةُ عَلَيْهِ ثُمَّ أَعْقَادُ الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الطَّاعَةِ
 وَجَانِبَةُ النَّهْيِ وَحَقِيقَةُ الْإِسْتِقَامَةِ أَنْ لَا يَقَابِلَ مَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ عَمَلٍ مِثْلَ مَا
 وَقَعَ الْأَعْوَجَاجُ بِهِ أَنْ لَا يَصْطَلِحَ جَاهِلًا فِي سِرِّهِ وَلَا يَتَّبِعَ طَرِيقَ مَنْ أُنَابَ إِلَى اللَّهِ
 تَعَالَى ثُمَّ لَا شَرْعًا لِمَا بَدَأَ مَالِحًا مَا أَفْسَدَ فِي أَيَّامِ بَطَالَتِهِ لِيَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ
 الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ كَمَا لَا يَضِيعُ أَجْرُ

في الماضي

ثُمَّ لَا اسْتِبْدَالَ بِالطَّالِحَاتِ مِنَ السَّيِّئَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْحَسَنَاتِ لِيَكُونَ
 مِمَّنْ يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ لِحَقِيقَتِهِ بِالتَّوْبَةِ وَحَسَنَاتِهِ لَا تَلْزَمُ
 التَّوْبَةَ لِيَكُونَ الدُّنْيَا يُبَدِّلُ بِالْأَعْمَالِ السُّوَايِ أَعْمَالًا حَسَنًا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ فَاذْغَبْ مَا بَعْضُ مِنْ سَيِّئَاتِنَا
 يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ثُمَّ التَّوْبَةُ وَدَوَامُ الْحُزْنِ وَحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ
 وَالْحُزْنُ عَلَى الْفَوْتِ أَنْ لَا يَفْرُطَ وَلَا يَنْبَغِي وَقْتُ دَرْكِهِ وَلَا يَرْجِعَ وَلَا يَلْشَى
 فِي حِينَ اسْتِبْدَالِهِ فَيُصَوِّتُ نَفْسَهُ وَتَشَأْنِيًا إِذَا كَانَ يَحْمِلُ دَرْكَ مَا فَاتَ فَلَا
 يَفْتَاتُ مَا لَدَرْكٍ فِي حَالٍ يَقْطَعُهُ فَتَكُونُ نَقْطَتُهُ شَيْبًا بِمَا مَضَى مِنْ غَفْلَتِهِ
 إِذَا لَدَرْكِ الْفَوْتِ بِالْفَوْتِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ التَّوْبَةُ لِيَكُونَ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ
 تَعَالَى وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا قَلِيلًا الْإِعْتِرَافُ
 وَالتَّوْبَةُ وَقَالَ أَبُو سَلِيمٍ الدَّارَانِيُّ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَاقِلُ فِيهَا بَقِي مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا عَلَى
 قَوْتِ مَا مَضَى مِنْهُ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ لَكَانَ خَلِيقًا أَنْ حَزَنَهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَمَاتِ نَكِيفُ
 عَنْ لَيْسَتْ تَقْبِلُ مَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِهِ مِثْلَ مَا مَضَى مِنْ جَوَلِهِ وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ سَهْلُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ التَّائِبُ لَا يَقْبَلُ شَيْءٌ يُكُونُ قَلْبُهُ مُعَلِّقًا بِالْعَرْشِ حَتَّى يُفَارِقَ النَّفْسَ وَلَا
 عَيْشَ إِلَّا الْإِضْرَارَ لِلْقَوَامِ وَيَغْتَمِرُ عَلَى مَا مَضَى مِنَ الْجِدِّ فِي الْأَمْرِ وَمُبَايَنَةَ النَّهْيِ فِيمَا

ويعتبر في هذا العمل

بِحُجَّتِهِ وَلَا يَسْتُرُهُ ذَلِكَ إِلَّا بِاسْتِعْمَالِ عِلْمِ الْيَقِينِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ الْمَتَابَعَةُ بِأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ
 لِيَكُونَ مَحْتَقًا قَالَهُ تَعَالَى وَيَذَرُونَ لِلْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عِقَابُ الدَّارِ
 أَيْ يَذْنُبُونَ مَا سَلَفَ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَعْمَلْ تَعْدَهَا حَسَنَةً
 السِّرِّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةَ بِالْعَلَانِيَةِ وَفِي وَصِيَّةٍ مُعَاذِ اتَّبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا
 وَيُدْخِلُكَ الصَّالِحِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَنُدْخِلَنَّهُمُ الصَّالِحِينَ ثُمَّ الْمَسَارَعَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ إِذَا قَدَّرَ عَلَيْهَا لِيَذْرَكَ
 بِهَا مَا يَنْبَغُ وَفَاتٍ لِيَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَهَذَا الْمَقَامُ يُصْلِحُ لِمَوْلَاهُ يَحْفَظُهُ وَيَتَوَلَّاهُ
 كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ فَجَعَلَ مَا عَلَى الْعَبْدِ مِنَ التَّوْبَةِ وَمَا تَعَلَّقَ بِهَا
 عَشْرُ خَصَالٍ أَوْ لَهَا فَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَعْصِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَالشَّيْئَةَ إِنْ أَشَاءَ
 مَعْصِيَةً لَا يُصْرِعُ عَلَيْهَا وَلِخَصْلَةِ الثَّلَاثَةِ التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا وَالرَّابِعَةُ
 التَّدَمُّرُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ وَالْخَامِسَةُ عَقْدُ الْأَسْتِقَامَةِ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَى الْمَوْتِ
 وَالسَّادِسَةُ خَوْفُ الْعُقُوبَةِ وَالسَّابِعَةُ رَجَاءُ الْمَغْفِرَةِ وَالْثَامِنَةُ
 الْاعْتِرَافُ بِالظُّلْمِ وَالتَّاسِعَةُ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
 وَأَنَّهُ عَدْلٌ مِنْهُ وَالْعَاشِرُ الْمَتَابَعَةُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَعْمَلَ فِي الْكُفَرَاتِ

كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَفِي جَمِيعِ هَذِهِ الْخَصَالِ
 جَمَلُ التَّوْبَةِ وَبَيَانُهَا عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يَكْتُمُونَ عَدَدَهَا وَيُقَالُ إِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ
 إِذَا ظَهَرَ لِلْعَبْدِ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عَمَلِكَ سَاعَةٌ وَأَنَّكَ لَا تَسْتَخِرُ عَنْهَا طَرَفَةَ عَيْنٍ
 قَالَ فَيَبْدُو لِلْعَبْدِ مِنَ الْأَسْفِ وَالْحَسْرَةِ مَا لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنْ أَوْحَالِ الْخَلْقِ
 لَخَرَجَ مِنْهَا إِلَى أَنْ يُضَمَّ إِلَى تِلْكَ السَّاعَةِ سَاعَةٌ أُخْرَى لَسْتَعِيبَ فِيهَا أَوْ لِيَسْتَبْدِكَ
 بِهَا فَلَا يَجِدُ لَكَ سَبِيلًا وَهَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَجِيلٌ يَنْبَغُهُمْ وَيُزِفُهُمْ قَوْلُ
 قِيلَ التَّوْبَةُ وَقِيلَ الزِّيَادَةُ فِي الْعَمَلِ وَقِيلَ حَسَنُ الْخَاتِمَةِ حِيلَ يَنْبَغُهُمْ وَيُزِفُهُمْ
 كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ وَأَهْلُ فِرْقَتِهِمْ فَإِذَا زُكِلَ سَاعَةٌ
 تَمُضِي عَلَى الْعَبْدِ مِنْ مَمَرٍ هَذِهِ السَّاعَةُ فِيمَتِهَا الدُّنْيَا كُلُّهَا إِذَا عُرِفَ قِيمَةُ
 ذَلِكَ فَلَدَرَكَ قِيلَ لَيْسَ لِمَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ قِيمَةٌ إِذَا عُرِفَ وَجْهُ الْقَدِيرِ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى بِالتَّصَرُّفِ وَالْحِكْمَةِ وَقِيلَ فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ قِيلَ لَكَ نَارِي أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ
 فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قَالَ الْوَقْتُ الْقَرِيبُ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ
 عِنْدَ كَشْفِ الْغَطَاءِ يَا مَلِكُ الْمَوْتُ أَخَّرْتَنِي يَوْمًا اعْتَبْتُ فِيهِ رَيْيَ وَأَتَزَوَّدُ فِيهِ
 صَاحِبُ النَّفْسِ فَيَقُولُ فَيَذِيبُ الْأَيَّامَ فَلَا يَوْمَ فَيَقُولُ أَخَّرْتَنِي سَاعَةً فَيَقُولُ فَيَذِيبُ السَّاعَةَ
 فَلَا سَاعَةَ قَالَ فَيَبْلُغُ الرُّوحُ لِحُلُومِهِ فَيُؤَخَّرُ بِكُطْمِهِ عِنْدَ الْغُرْغُرَةِ فَيُغْلَقُ بَابُ

وَشُكْرُ مَطْعِمِهِ فَيَتَوَلَّاهُ حَسْرَةً عِندَ رَبِّهِ شُكْرَ النِّعْمَةِ لِأَنَّهُ هُوَ وَلِيُّهَا وَمَطْعِمُهُ كَمَا
قَالَ أَغْنَى اللَّهُ الْإِنْسَانَ وَلِيًّا وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ وَقَالَ فِي مَقْصَدِ الرِّزْقِ فَاسْتَعِينُوا
عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَقَالَ عَلَى عِلْمِهِ السَّلَامُ وَقَدْ تَلَاهُ الْآيَةُ مَنْ كَانَ
يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ فَقَالَ لَا تَرَثْ الدُّنْيَا هَذَا الْمَالُ وَحَرْثُ الْآخِرَةِ الْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لَا قَوْلَ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَيْهِ وَجَمَعَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ لَمْ يَقِرَّتْهُ
أَهْلٌ وَلَا مَالٌ وَمَنْ شَتَّ قَلْبَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ فِي نَفْسِهِ لَمْ يَجْمَعْهُ عِلْمٌ وَلَا حَالٌ كَمَا
قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعْتَ فَلَا مَانِعَ
لِمَا يُعْطَى مِنْ هُدًى وَتَقْوَى وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَالَ الْجَلِيلُ وَإِنْ سَأَلَ اللَّهُ
بُضْرًا فَلَا تَكْشِفُ لَهُ الْآهَ وَانْزِدْ لِي خَيْرًا فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ وَكُلُّ مَنْ عَلِمَ مَقَامَهُ
انْتَرَدَ وَعَلَى جَمِيعِهَا هَمُّهُ فَجَعَلَ لِقَوْلِهِ مَنْ جَعَلَ الْهَمُّ مِمَّا وَلَجِدَ أَكْفَاهُ اللَّهُ أَمْرًا
دِينًا وَآخِرَةً وَالْهَمُّ الْوَاحِدُ بُوْجِدٍ وَاحِدٍ هُوَ وَصِفَ عَبْدٌ مُتَوَحِّدٌ لَوْلَا
سُئِلَ إِلَى الْحَدِّ مَا إِلَهَ الْمَوْلَى لِلْقُلُوبِ وَكَاشَفَ بِهِ مِنْ خَيْرِ الْغُيُوبِ قَدْ وَهَبَ
لَهُ خُلُقًا مِنْ خَلْقِهِ فَهُوَ الْوَاحِدُ بُوْجِدَانِيَّةً هِيَ صِفَتُهُ وَعَبْدُهُ مُتَوَحِّدٌ بُوْجِدَةٍ هِيَ خَلْقُهُ
مُنْفَرِدًا هَمُّهُ يَجْتَمِعُ الْقَلْبُ لِفَرْجٍ جَامِعٍ مُعْطَى لَهُ غَيْرُ مَانِعٍ لَيْسَ يُضَارُّهُ إِذْ هُوَ نَائِفٌ
وَأَنْفَرَادُ الْهَمِّ لَوْ أَنْ يَنْتَحِوَ الْهَوَى وَيَحْوَى بَعْدَ تَحَارُّنِ الْقَلْبِ لِلتَّقْوَى كَمَا قَالَ

المفسر أو ليك الذين امتحان الله قلوبهم للتقوى قال محال الشهور منها ولعمري
لما أثبت المخاوف فيها خدات طبائع الهوى نحو الله ما يشاء ويثبت قد برز وأما
مخادئات النفس بأهوائها عن طبعها أخلاقها المذمومة صفات الإيمان المحمودة التي
في أخلاق الرُّبُوبِيَّةِ الْحَسَنَةِ الْحَمِيدَةِ فَصَارَ الْعَبْدُ رُوحَانِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ نَفْسِيًّا وَجِلْدِيًّا
بَعْدَ كَوْنِهِ شَاهِدِيًّا دُنْيَاً وَاجْتِمَاعُ الْقَلْبِ يَكُونُ مَعَ طَيْبِ النَّفْسِ طَيْبٌ وَطَمَائِنَتُهَا
بِالْإِيمَانِ يَوْمِنُ وَتَخَلَّقَهَا بِأَخْلَاقِ الرُّوحَانِيَّةِ وَفَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا كَمَا قَالَ الرَّسُولُ
طَيْبُ النَّفْسِ مِنَ النَّجِيمِ وَقَالَ الْجَلِيلُ قَدْ أَمْلَحَ مِنْ زَكَاةٍ وَقَالَ فِي نَفْسِهَا يَأْتِيهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ مَا يَكُونُ مُوَاطِئَةً لِلرُّوحِ مُوَيَّدَةً بِرُوحِ
مِنْهُ مُوَطَّوَةً لِلْقَلْبِ تَخْلُقُهُ بِأَخْلَاقِ الرَّبِّ مُعَايَنَةً بِعَيْنِ الْيَقِينِ سَالِكَةً لِلطَّرِيقِ
الْمُسْتَقِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مُشَاهِدَةً لِلْحَقِّ الْمُبِينِ وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُسْبِيهِ
وَجَدْتُ فِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى مِنْ رَحَبِ الدُّنْيَا بَعْضُهُ اللَّهُ وَمِنْ بَعْضِهَا جَنَّةُ اللَّهِ
وَمِنْ أَحْسَنِ الدُّنْيَا أَهَانَةُ اللَّهِ وَمِنْ أَهَانِهَا كَرَمُهُ اللَّهُ وَكَمَا عَلِمَ الظَّاهِرُ وَالْغُيُوبُ
الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا هُوَ مُوَافَقَةُ الْعِلْمِ وَالْقِيَامُ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ وَاتِّخَاذُ الشَّيْءِ مِنْ وَجْهِهِ
فِي حَقِّهِ وَخَالَفَ الْعِلْمُ هُوَ جَهْلُ كُلِّهِ وَهُوَ قَدْ كَرِهَ أَنْ يَضِلَّ هُدًى وَظَاهِرُهُ
وَلَمْ يَعْرِ قَوَاعِيهِ وَبَاطِنُهُ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَنَصِيحَتُهُمْ مِنَ الْغِنَى وَهُوَ مَقَامُهُمْ مِنَ الْقَالَ

وَكَيْفَ هُمُ الْمُتَوَكِّلُونَ بِالْأَعْيَالِ وَقَدْ يَعْتَوِرُهُ الْوَهْمُ وَالظَّنُّ لَا تَعْمَدُ بِصِفَتِهِ الشَّيْءُ عَنْ
خَيْرِهِ وَسَمِعَ لَا عَنْ خَيْرٍ وَيَقِينُ كَمَا أَشَدَّ نَابِعُهُمْ

يَصِفُ لِلطَّلُولِ عَنْ السَّمَاعِ لَهَا لَيْسَ الْعَيَانُ كَخَيْرِ الرِّسْمِ
وَإِذَا وَصَفْتَ الْأَمْرَ عَنْ خَيْرٍ لَمْ تَخْلُ مِنْ غُلْطٍ وَمِنْ وَهْمٍ

وَقَدْ رَوَيْتُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي عِيْنَةَ أَنَّهُمَا سَيَّلَا يَكُونُ لِحُزْنِ زَاهِدٍ أَوَّلُهُ مَا كُنَّا قَالَا
نَعْمَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ صَبْرًا وَإِذَا نَعِمَ عَلَيْهِ شُكْرًا قَالَ ابْنُ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ قُلْتُ لَأَيِّ
عِيْنَةٍ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ نَعِمَ عَلَيْهِ فَشُكِرَ وَابْتُلِيَ فَصَبَرَ وَجَلَسَ النِّعْمَةُ كَيْفَ يَكُونُ زَاهِدًا
فَضَرَبَنِي بِيَدِهِ وَقَالَ سَكَتَ مِنْ لَمْ تَنْعُهُ النِّعْمُ مِنَ الشُّكْرِ وَلَا الْبَلَاءُ مِنَ الصَّبْرِ
مَذَلِكَ الزُّهْدُ وَوَأَقْتَمَا الزُّهْرِيُّ كَذَلِكَ وَقَدْ فَضَّلَ أَبُو سَلِيمٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ
ابْنُ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ قُلْتُ لَهُ أَكُنْ أَوْ دَاوُدَ أَوْ طَاهِيًا زَاهِدًا قَالَا نَعَمْ قُلْتُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ وَرَثَ
مِنْ لَيْبٍ عَشْرِينَ بِنَارًا فَانْفَقَ فِي عَشْرِ سِنِينَ كَيْفَ يَكُونُ زَاهِدًا وَهُوَ مُسَكِّدُ
الدُّنْيَا فَقَالَ رَدَّيْتُ مِنْهُ أَنَّهُ سَلَعَ حَقِيقَةُ الزُّهْدِ وَقَدْ قَالُوا فِي الزُّهْدِ وَصَفَانِ
جَامِعَانِ أَحْوَالِ الْقُلُوبِ قَالَ مَضَى بَعْضُ عِلْمِي قُلْتُ لَسِيَّاحِ الْمَوْصِلِيِّ سَيَّابِ أَبِي مُحَمَّدٍ
إِلَى شَيْءٍ أَنْفَضِي هَذَا الزُّهْدُ قَالَ إِلَى الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ فَهَذَا الزُّوَالُ وَخَشَاةُ الدُّنْيَا
وَخُرُوجُ ظِلْمَةِ النَّفْسِ بِالْهَوَى وَقَعَ الْإِنْسَانُ بِالنُّورِ وَلَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ بِالْحَبِيبِ وَالْوَجْدَ بِالْقَرِيبِ



خَيْرُ زَاهِدٍ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَمَارَةَ كَانَ يَقَالُ الْمَوْعِزُ بُلُغَ الْعَبْدِ إِلَى الزُّهْدِ وَالزُّهْدُ
يَبْلُغُ بِهِ حُبَّ اللَّهِ تَعَالَى فَعَبْدٌ شَاهِدٌ أَنْ مَوْلَاهُ يَدْعُو فَيَلْسَنُ بِزَاهِدٍ وَمَتَى لَمْ يَدْعُ فِي الزُّهْدِ
لَمْ يَلْزَمْ حُبَّ اللَّهِ وَوَاجِدٌ لَا تَحِبُّ الْعِلَى إِلَّا مِثْلَ شَاهِدِهِ أَنْ تَخْرُجَ حُبُّ الدُّنْيَا الْأَدْنَى
فَهَذَا الْحَالُ غَايَةُ الطَّالِبِينَ لِحُبِّ الْجَلِيلِ وَالْإِنْسَانِ بِالطَّيِّفِ فَمَنْ لَمْ يَزْهَدْ
لَمْ يَبْلُغْ مَقَامَ الْحُبِّ وَلَمْ يَدْرِكْ حَالَ الْإِنْسَانِ وَسَرَائِرَ الْغَيْبِ الْمَلَكُوتِيَّةِ فِي مَقَامِ الْحُبِّ
وَالْخَلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ وَغِيَابَاتِ السِّرِّ الْعِزِّيَّةِ الْجَبَرُوتِيَّةِ فَحَالِ الْإِنْسَانِ وَتَحَوُّلِ خُصْمَةِ
الْعَقْلِيَّةِ وَوَرَأَاهُ مَا فِيهِ مِمَّا لَا يَصِلُحُ أَنْ تُعِيدَهُ وَبُنْدِيَّةٌ وَكَانَ ابْنُ مُعَاذٍ يَقُولُ
لَا يَنْبَغِي لِلْعَارِفِ أَنْ يَتَلَقَّى مَخْلُوقًا إِذَا فُتِحَ لَهُ بَابُ الْإِنْسَانِ وَالْإِدْلَالِ فَإِنَّهُ لَا تَحْمِلُ حَالَهُ
وَلَا عِلْمَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ مَخْلُوقٌ وَفِي تِلْكَ الْحَالِ يَسْتَبْرِئُونَ وَمِنْ الْمَخْلُوقِ يَهْتَبُونَ
فَإِذَا فُتِحَ لَهُ بَابُ الْخَوْفِ وَالْخِيَاةِ وَالْهَيْبَةِ لَقِيَهُمْ فَأَتَمُّ يَنْفَعُونَ بِهِ وَيَقْتَمُونَ عَنْهُ
وَكَشَفَ هَذَا الْمَقَامُ خُرُوجَ الْعِلْمِ عَنِ الْعَرَبِ - لَيْسَتْ وَبِشَرِّ عَجِيبٍ لَا يُوصَفُ وَمَعْنَى
غَامِضٍ لَطِيفٍ لَيْسَ عَلَيْهِ يُوقَفُ وَإِنْ مَقَامُ مَقَالٍ وَلَيْسَ كَشَفَ مَقَالَهُ فِي مَقَامِ
الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَتَفَكَّرُوا وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى وَهُوَ
بِعَوَاضِ الْغُيُوبِ وَسَرَائِرِ الْقُلُوبِ أَوْلَى لِلطَّيِّفِ مَا فِيهَا مِمَّا عَادَ وَبَدَى إِذْ لَدُنْهُ
تَوَلَّى أَخْرَجَ كِتَابَ - الزُّهْدِ

نفاة المظلمة